أزمة لغة أم أزمة مجتمع
" قراءة في جدلية العودة والتهميش"

أ.بوحزام نوال، أ.نعيمي مليكة.

– جامعة معسكر– الجزائر

summary

In the light of what is known as modern societies and what it let as crisis : a crisis of identity .crisis of culture a crisis of citizenship .a crisis of education of language…….At least it 's to debate in our writing wich uses the reflex of the back ground of tools of analysis which human and social sciences present and the remedy of a mechanism of the mechanisms of change which touches the societies and its the languange which bears our heritage .It's important to believe that our identity is based on one coherent existence which is a reality that can be the centre for us.

Language was and is still among the tools which takes part in puting the basis of the figures of culture and society and preserving its contimuinty .this citation according to the hypothesis and the methodology of the humman sciences Field and the science of language because this latter is in the core of the subject to construct the two levels the individual and the collective and it's essential to make relationship .This is one of the reasons that makes teaching languages a crucial case and can also be among the factors which fight the privatisation of language which leads in its turn in creating a problematic of conflicts between languages and identities and this led to the appearance of regimes and modern private values to make the subject wanted by a lot of special ities and represents one of the most important challenges for the modern Algeria and the arabic world especially and this became dominating the debates in the Arabic thinking during more than a century (duo of traditional and modern)the language became the efficient tool among them both and here rises up the problematic of the study of research in looking for the following questions :and the problematic of preading out and cut of the Arabic for learners of foreign languages ?especially if learning the latters is for need of modernization and this can be the cause of the finging of Arabic and the confliet of languages and ideology .the question now is what are drawbacks of the conflict of language in Arabic socities ?And the relationship between teaching the foreign language and its influence on identity ?which means between the problem of identity as a concept and the relationship between identity and language .

ملخص الدراسة :

في ظل ما يعرف بالمجتمعات الحديثة وما خلفته من أزمات ،أزمة هوية ,أزمة ثقافة أزمة مواطنة أزمة تعليم أزمة لغة .....إلخ،فعلى الأقل هو أن نناقش في كتاباتنا التي تكرس خلفية

إنعكاس أدوات التحليل التي تقدمها العلوم الإنسانية والاجتماعية ومعالجة آلية من آليات التغير التي تمس المجتمعات وهي اللغة التي تحمل ميراثنا ،فمن الوهم الاعتقاد بأن هويتنا تستند إلى كيان واحد متجانس وهو واقع من شأنه أن يكون الركيزة لدينا .

فاللغة ظلت ولازالت من بين الأدوات التي تساهم في ترسيخ معالم النسق الثقافي والاجتماعي والحفاظ على استمراريته فهذا القول وفقا لافتراضات النظرية والمنهجية لحقل العلوم الإنسانية وعلوم اللغة لأن هذه الأخيرة هي من صميم الموضوع لبناء المستويين الفردي والجماعي وهي مجال لتأسيس علاقة الذات بالآخر وهذا هو أحد الأسباب في أن تعليم اللغات قضية حاسمة بالرغم من أنه يعد من العوامل في القضاء على الخصوصية اللغوية التي تؤدي بدورها في خلق إشكالية الصراع اللغوي والتعدد الهوياتي وكل هذا أدى إلى إبراز نظم وقيم حديثة وخاصة . ما جعل الموضوع يستهوي الكثير من الإختصاصات ويشكل إحدى الرهانات الأساسية للجزائر المعاصرة والعالم العربي بصفة عامة .بحيث أصبح هذا ما يسيطر على النقاشات في الفكر العربي منذ أكثر من قرن (نقاش محوري يرتكز على ثنائية التقليد والحداثة) والتي أصبحت اللغة هي الأداة الفاعلة بين هاتين الثنائيتين وهنا تبرز إشكالية الدراسة البحثية في البحث عن التساؤلات الآتية :فيما تتمثل إشكالية الامتداد والقطيعة للغة العربية لدى الفاعلين المتمدرسين للغات الأجنبية ؟وخاصة إذا كان الاهتمام باللغات الأجنبية كمطلب حداثي في ظل التفتح على العالم وعولمة الاتصال ما سعى في تهميش اللغة العربية وخلق الصراع اللغوي وبالتالي الإيديولوجي. ما هي مخلفات الصراع اللغوي في المجتمعات العربية ؟وفيما تبرز حدودية العلاقة بين تدريس اللغة الأجنبية وتأثيرها على الهوية ؟أي بين إشكالية الهوية كمفهوم وجدلية العلاقة بين الهوية واللغة.

1. مقدمة:

إن الحديث عن اللغة يحيل بنا إلى الحديث عن المجتمع فهي أحد الركائز التي يعتمد عليها في النسق الإجتماعي وبالتالي أي خلل تعرفه أو أي ضعف يعود ظاهريا على المجتمع وهذا ما جعل معظم المجتمعات سواء المتقدمة أو غيرها تحاول الحفاظ على هويتها عن طريق اللغة وذلك بوضع الإستراتيجيات الآلية التي تمكنها من المحافظة على أحد العناصر المهمة في إثبات هويتها .ولعل هذا ما جعل الجزائر كغيرها من الدول تسعى في إثبات ذلك عن طريق سياستها الإيديولوجية المتعاقبة بعد الفترة الإستعمارية كمحاولة رد فعل على نماذج ومخلفات الإستعمار الفرنسي ,هذا ما نتج عنه ظهور مشروعين إيديولوجيين ساهم ولفترة طويلة في تاريخ الجزائر عن طريق إبراز التعدد الهوياتي

والفكري الذي عرفه المجتمع الجزائري .وهذا ما سنحاول إبرازه في دراسة هذه الإشكالية الإمبيريقية بمعالجة تعتمد على التحليل السوسيو تاريخي مع إبراز الأزمة العلائقية بين اللغة والهوية التي طرحت بشكل جلي في تاريخ الجزائر ,وبالتالي إبراز تمثلات والممارسات التي انعكست على الفاعلين من خلال التعليم وفق النموذجين المتناقضين في الهوية والإيديولوجية .

2. تساؤلات الإشكالية:

- ماهي مخلفات الصراع اللغوي في المجتمع الجزائري ؟
- فيما تبرز حدودية العلاقة بين تدريس اللغة الأجنبية وتأثيرها على الهوية ؟أي بين إشكالية الهوية كمفهوم وجدلية العلاقة بين الهوية واللغة .

3. الفرضيات:

- أزمة اللغة العربية في المجتمع الجزائري هي امتداد حتمي لتعدد الإيديولوجيات.
- أزمة اللغة العربية في المجتمع الجزائري هي حتمية تاريخية فرضتها مختلف التغيرات والتطورات البشرية بما في ذلك ظاهرة الحداثة والعولمة.

4. منهجية البحث:

- أدوات البحث: الملاحظة – الاستمارة.
- المقاربة النظرية: نظرية التغير الاجتماعي.
- العينة: طلبة اللغات الأجنبية بقسم العلوم الانسانية بجامعة معسكر بالجزائر،وقد كانت عينة عشوائية تكونت من 160 طالب.
- الإطار الزمكاني: امتدت الدراسة الميدانية من أفريل 2013 إلى غاية جوان 2013،بقسم اللغات الأجنبية بجامعة معسكر بالجزائر.

5. مفاهيم الدراسة:

5-1 مفهوم الحداثة: يوجد اختلاف واضح بين المفكرين والباحثين من مختلف المجالات العلمية في تحديدهم لمفهوم الحداثة ,ذلك أن كل منهم ينطلق من إيديولوجية معينة .

لقد إرتبط مفهوم الحداثة بتلك المرحلة التاريخية التي عاشتها أوربا بدءا من القرن السابع عشر والتي سميت بعصر التنوير خاصة مع الثورة الفرنسية وظهور الرأسمالية,حيث رأى المفكر العربي "هشام شرابي "أن الحداثة تشير إلى تلك الفترة المعروفة بعصر التنوير، والتي قامت في الأساس على "العقلانية في اتخاذ القرار،والفردية كفلسفة سياسية واقتصادية واجتماعية،والوضعية في الممارسات العلمية والاعتماد على العلم والتكنولوجيا لإشباع الحاجات الإنسانية ,وتبني نظرية خطية للتاريخ تذهب إلى أن الإنسانية ترتقي عبر الزمن من مرحلة إلى مرحلة أرقى " (1).فهي في أصلها عبارة عن مرحلة انتقالية وحركية وديناميكية جديدة تسعى إلى تطوير المجتمع بكافة مجالاته ,وهي بهذا ضد التقليد ,وهذا حسب ما تم ذكره من قبل الفيلسوف الفرنسي Jean budrillard أنها صيغة مميزة للحضارة تعارض صيغة التقليد وجميع الثقافات السابقة والتقليدية.

2-5 مفهوم اللغة: نسق من الإشارات والرموز، هي أداة من أدوات المعرفة وتعتبر أهم وسائل التفاهم والاحتكاك والتواصل بين أفراد المجتمع في جميع ميادين الحياة. وبدون اللغة يتعذر نشاط الناس المعرفي. وترتبط اللغة بالتفكير ارتباطًا وثيقًا؛ فأفكار الإنسان تصاغ دومًا في قالب لغوي، حتى في حال تفكيره الباطني. ومن خلال اللغة فقط تحصل الفكرة على وجودها الواقعي.

3-5 الإيديولوجيا: هي نظام من الأفكار المتداخلة كالمعتقدات والأساطير التي تؤمن بها جماعة معينة أو مجتمع ما وتعكس مصالحها واهتماماتها الاجتماعية والأخلاقية والدينية والسياسية والاقتصادية وتبررها في نفس الوقت.

4-5 مفهوم الهوية: تتجاذب مفهوم الهوية في علم الاجتماع بين مقاربتين الأولى تتناولها على أنها مرادفة للإنتماء والثانية تعتبرها مفهوم غامض ذلك أن إنتماءات الفرد متعددة ولا يمكن لأي انتماء أن يفرض نفسه بشكل موضوعي كإنتماء أساسي.

الهوية في الأساس حسب C Dubar هي أشكال انتماء الفرد للجماعة أو لفئة اجتماعية وهذا بالنظر إلى مستوى اندماجه في هذه الجماعة (2) .

6. اللغة والنسق الاجتماعي:

بالرغم من أهمية اللغة في حياتنا اليومية والتي تتأثر فيما بينها طولا وعرضا إلا أن دراسة اللغة في شقها العلمي تركزت على أحادية الأصوات ,الصرف والنحو أي تحت راية علم اللغة وهي بهذا بقيت نظاما مغلقا بعيدا عن السياق الإجتماعي إلا أنه في السنوات الأخيرة حدث تغييرا جذريا

بعد الإستعانة بعلم اللغة الاجتماعي وهذا نظرا للدور الذي تلعبه اللغة "فهي حدث اجتماعي لهذا فإن الظروف السياسية والتاريخية ضرورية جدا لدراسة اللغة وفهم مكانتها و للأداءات التي يقوم بها ،وهي بهذا المعنى جزء من ثقافة المجتمع بل هي الكل فلا ينبغي النظر إليها على أنها وسيلة اتصال فحسب وإنما من أهم أدوات التنشئة الاجتماعية للفرد والمجموعة وبالتالي من أهم مكونات الهوية ,فاللغة ظلت ولازالت العنصر الرئيسي في إعطاء الصفة الإجتماعية للمتحدثين أي هي تسجيل لجملة من الهويات الناطقة .فللغة دورا محوريا في نمو المجتمع وحراكه حيث أن الحراك في مجتمع ديناميكي بحاجة للغة ديناميكية تواكب تطوره وتشكله فقوة اللغة من قوة المجتمع .لكن إذا أردنا الشروع في دراسة العلاقة التي تربط بين اللغة والمجتمع ينبغي علينا مراعاة جملة من المفاهيم الأساسية كمفهوم السلطة والإيديولوجيا والمجتمع فهذه الشبكة المفاهيمية لهي مفتاح لأزمة اللغة داخل المجتمع الجزائري .وهذا ما نستعرضه في المبحث التالي.

7. أزمة لغة أم أزمة ايديولوجيات:

قبل الخوض في مسألة إشكالية اللغة ينبغي عرض العلاقة القائمة بين الإيديولوجيا واللغة والتي لطالما طرحت لدى العديد من الباحثين منذ **أوريل** وصولا إلى نظرية الإيديولوجيا التي طرحها **ألتوسير**.حيث أثبت على تأييده بأن الإيدبولوجية ما هي إلا سلسلة لغوية مؤسسة /شعيرة /ممارسة /فعل كلام ولعل الشكل سوف يوضح مشروع الإيديولوجيتين وعلاقتهما بالأزمة اللغوية وذلك على حد التعبير الماركسي الذي يرى في أن اللغة تأخذ المركزية في فهم الواقع الإجتماعي وارتباط اللغة بالطبقة المهيمنة في المجتمع أي وسيط بين السلطة والإيديولوجيا التي تسعى لترسيخها وتطبيعها لدى الفرد.

لمعرفة أزمة اللغة التي تعيشها المدرسة الجزائرية اليوم،علينا الرجوع إلى السياق التاريخي والمراحل التي مرت بها المدرسة في المجتمع الجزائري بعد الاستقلال أي منذ سنة 1962،حيث ظهر الخلاف حول الأساس الذي تنبني عليه المنظومة التربوية بمختلف مؤسساتها ومنظماتها وقد تمظهر هذا الخلاف بين تيارين رئيسيين هما: تيار الثقافة الفرنسية أو ما يعرف بالتيار الفرانكفوني.

- تيار الثقافة الإسلامية .

1.7- التيار الإسلامي:

هو التيار الذي نادى بالأصالة وقد إتخذ الدين كمرجعية أساسية في فلسفة لبناء مجتمع مع ضرورة إحياء التعاليم الدينية التي يطرحها الدين الإسلامي وهذا من أجل بناء حضارة تعمل على رفض مخلفات الاستعمار الفرنسي ومحاولة تطوير التراث الإسلامي عن طريق توظيف العقيدة الإسلامية في كافة مجالات الحياة كما أكد على ضرورة جعل اللغة العربية هي اللغة الرسمية داخل مؤسسات المجتمع المراد تحقيقه وذلك باعتبارها لغة الإسلام .

ومن توجهات هذا التيار الاعتماد على التربية ومؤسساتها كركيزة لنشر هذه المبادئ ذلك أن التربية تسعى إلى تكوين وبناء منظوماته الحضارية كما أنها واحدة من أهم مؤسسات التنشئة الاجتماعية وبغية الوصول لهذه الغايات داخل المنظومات التربوية بناء "فلسفة قائمة على الرجوع إلى الأصول والأسس الواردة في القران الكريم والسنة النبوية الصحيحة حيث يتم الاسترشاد بها والاهتداء بهديها وحتى تتمكن من رسم خطط ومناهج وأساليب تتماشى مع هوية المجتمع الإسلامي"بحيث نجد في القرآن قوله عز وجل "فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون " (3) ولتحقيق هذه الرهانات اتبع مجموعة من الإستراتيجيات أكد من خلالها على الخطاب الديني والتاريخ واللغة العربية.

1 - الخطاب الديني: من خلال تعزيزه ضمن المقررات الدراسية في مختلف الأطوار التعليمية وذلك لما تحمله من قيم ومعايير إسلامية تحث على التضامن والتماسك الاجتماعي تحت راية الدين (توحيد الهويات المتشتتة وذلك نتيجة الاستعمار أي قولبتها في هوية إسلامية واحدة وبالتالي إعادة بناء الأمة الإسلامية .

2 - التاريخ :من خلال التأكيد على الثوابت الوطنية .

3- اللغة العربية:من خلال تبني سياسة التعريب لمختلف العلوم التقنية والإنسانية مع الرفض التام للغة الفرنسية ذلك أن في اعتقادهم تحمل جملة من الإيديولوجيات تخدم مصالح الاستعمار الفرنسي.

2.7- التيار الفرانكفوني:

هذا التيار مغاير تماما للتيار السابق وهذا لما يحمله من إيديولوجية غربية تتطلع إلى السياق الحداثي خاصة في القضايا التربوية فتسعى إلى نشر قيم حداثية تقوم على الفلسفة العقلانية والوضعية بإعتبار أن العقل هو مصدر المعرفة العلمية مع تقديس للتكنولوجيات الحديثة وإقصاء للذهنيات الدينية التي تراكمت عبر الزمن على الدين الإسلامي(التقاليد،العادات،الخرافات....إلخ) إضافة إلى

ترسيخ القيم الفردية من خلال مبادئ الحرية والمساواة والديمقراطية المستوحاة من الفكر الرأسمالي مع تبني البراغماتية النفعية وجعلها نمط حياة تتحكم وتسير العلاقات الإنسانية وقد نادى هذا التيار بقطع الصلة مع الثوابت التي تبناها التيار الإسلامي بحجة أنها أبقت المجتمع والمنظومة التربوية في دائرة التخلف .ذلك أنها أعطت الأولوية لمقرر التربية الإسلامية بحجم ساعي مبالغ فيه وبتسرعها في عملية تطبيق سياسة التعريب وإقصائها للغة الفرنسية،باعتبارها حسب هذا التيار لغة العلم والمعرفة.فبالنسبة لهذا التيار يعتبر"المدرسة أنها منكوبة وسبب نكبتها هي اللغة العربية التي صارت تدرس بها مواد البرنامج والتربية الإسلامية التي كونت الأصولية والإرهاب"(4).

وبالتالي يمكننا القول أن هذا التيار يروج للعلمانية التي تدعو إلى القطيعة التامة بين الدين وتوظيفه داخل بنيات المجتمع،فتبني العلمانية مؤشر له دلالة قوية لتقدم أي مجتمع،ويتخذ هذا التيار الدول الأوروبية المتقدمة كنموذج المراد تقليده،وفي هذا الصدد نجد الباحث المغربي محمد عابد الجابري ينفي ذلك بقوله:"سنكون مخطئين إذا اعتقدنا أن الغرب قد تحرر من تلك الخلفيات الدينية التي كانت توجه فلاسفة التاريخ والمستشرقين وأنه غرب علماني خالص،فلا يمكن تجريده من ذاكرته"(5)

إلا أن هذين المشروعين فشلا في تطبيقاتهما (المشروع الإسلامي والمشروع الحداثي) ذلك أن كل منهما قاما على إيديولوجية معينة فالأول لم يراع خصوصية المجتمع الجزائري آنذاك،ولا إمكانياته ولا تطلعاته،والثاني تبنى مصطلحات وفلسفات غربية لا تتلائم مع المجتمعات العربية.ويرجع الفشل أيضا إلى طموح التيارين إلى الوصول إلى السلطة حيث يرى حامد عمار أن"الانشطار التعليمي والثقافي بين ما يسمى التعليم الديني والحديث ساحة للصراع السياسي والمناظرة الثقافية للمصالح الطبقية والفئوية"(6).

وفي الأخير يمكن القول عبر هذا التحليل الذي قمنا به سواء التحليل التاريخي والسوسيوتربوي للمجتمع الجزائري من خلال هذا الفترة يجعلنا نقر بأن المجتمع قد عرف انتقالات عنيفة من مجتمع تقليدي أي أصولي تحكمه قيم محافظة ذات مرجعية دينية وذو جماعة متضامنة بين أفرادها،إلى مجتمع معاصر تحكمه قيم رأسمالية ليبرالية تعتمد على منظومة قيم ذات نمط فردي يحكمه منطق الغاية تبرر الوسيلة،أي ذو فلسفة براغماتية (طغيان الثقافة المادية التي أقصت العلاقات الإنسانية في مؤسسات المجتمع مع كبت العنصر الديني وتقليص دوره وعدم تفعيله داخل المناهج التعليمية.وهكذا بقيت أزمة اللغة محصورة في غياب معادلة مشروع المجتمع .وأصبح التلاعب بالكلمات هو الظاهرة الغالبة على المجتمع الجزائري أي مجتمع ينساق إلى الجهل اللغوي .

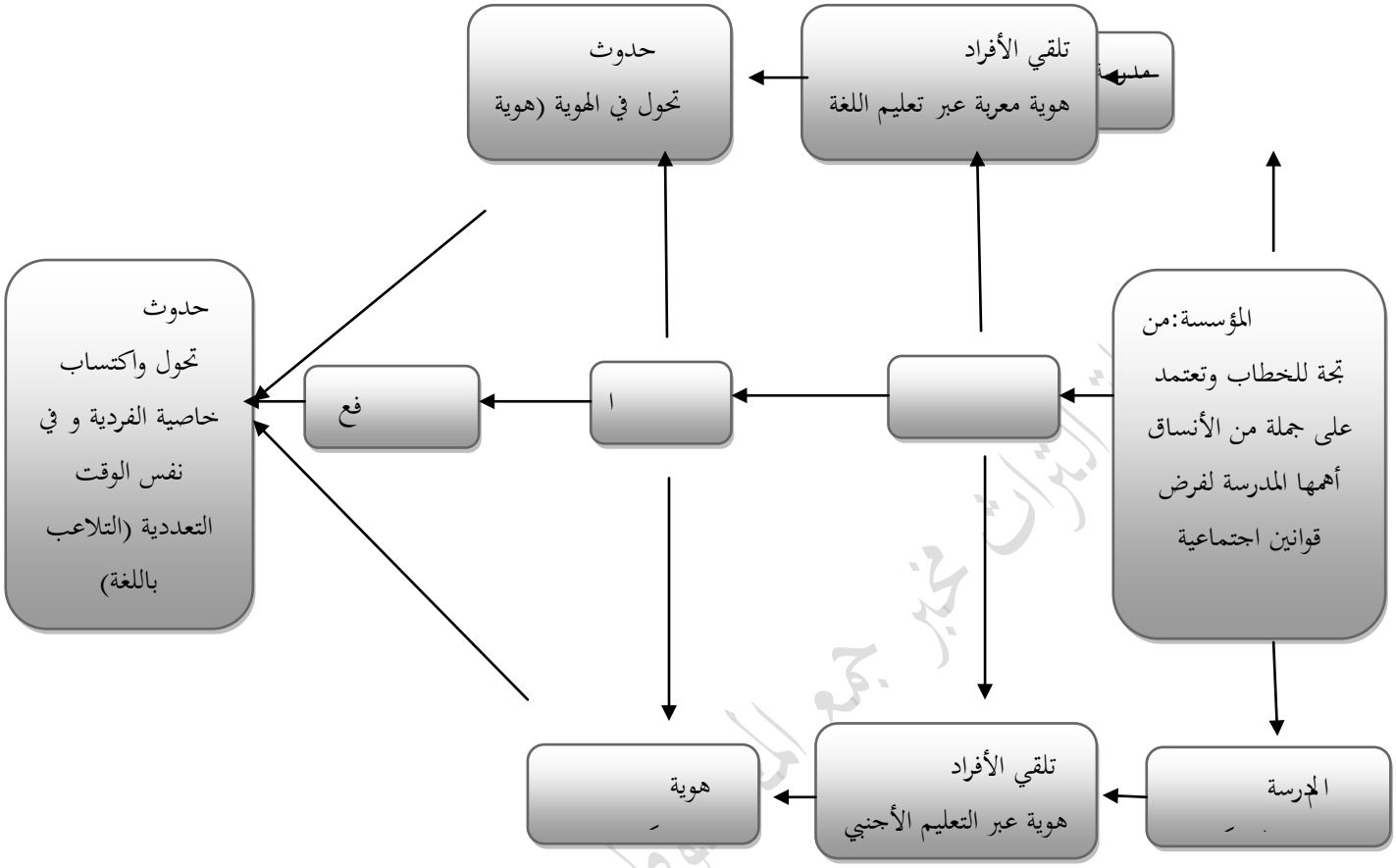

مخطط يوضح المشروع الإيديولوجي للمجتمع الجزائري من إعداد الباحثتين

8. تمثلات الفاعلين المتمدرسين للغة الأجنبية حول الممارسة اللغوية العربية:

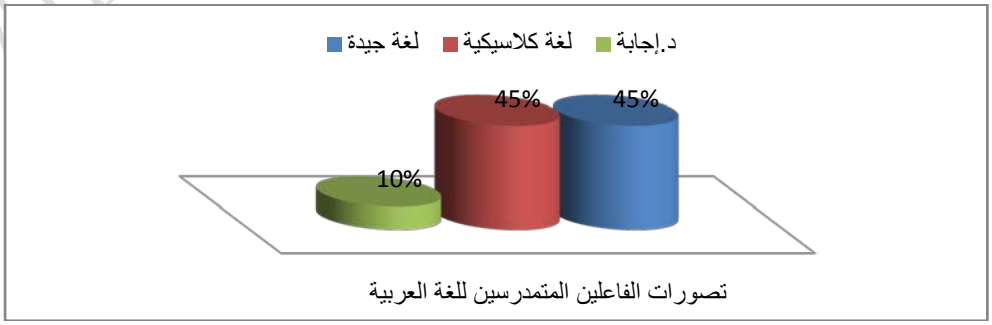

نلاحظ من خلال الرسم البياني أن تمثلات طلبة اللغات الأجنبية حول اللغة العربية قد انقسمت على وجهتين،الأولى تؤكد على وجوب الاهتمام باللغة العربية ذلك أنها اللغة الوطنية وهي

التي تعبر عن هويتنا الدينية حيث أنزل بها القرآن الكريم فهي التي تحقق الوحدة الجماعية للمجتمع وهي الرابط المشترك بين الأفراد من مختلف المناطق بالجزائر،وقد تنوعت أقوالهم وتصوراتهم بين "هي لغة كاملة"،"إنها لغة العرب ورمز الوحدة"،"هي لغة الخالق والقرآن الكريم".وفي مقابل هذا نجد الفئة المناقضة التي تعتبر اللغة العربية لغة كلاسيكية لا تتجاوب والعصر الذي نحياه فهي حسبهم لغة الشعر وليست لغة العلم.

وبالتالي فإن الفاعل المتمدرس هما يتأرجح في فكرته حول اللغة العربية بين القطب الايجابي والقطب السلبي أي بين أصالة النموذج وقيم التراث وبين الحداثة ولغة العولمة،هذا على مستوى التصور وسوف نستعرض مختلف الممارسات اللغوية للفئة التي تدرس اللغات الأجنبية بمختلف الفضاءات الاجتماعية.

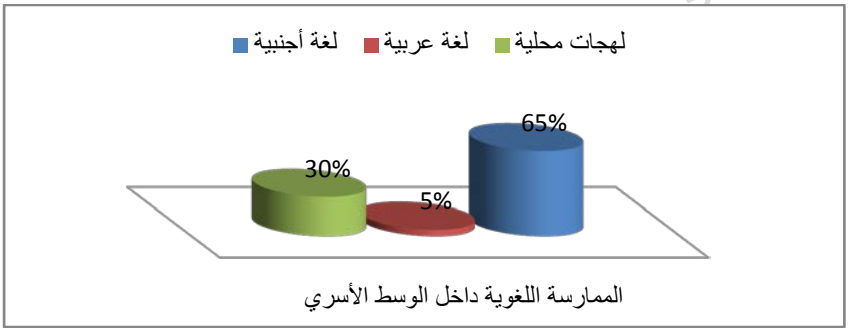

نلاحظ من خلال تفريغنا لاستمارات البحث أن اللغة المتداولة بشكل كبير في الوسط الأسري لدى طلبة اللغات الاجنبية هي اللغة الفرنسية أو الإنجليزية بنسبة 65% ما يدل على طغيان مختلف اللغات على حساب اللغة العربية واللهجات المحلية،فاللغة التي يتحدث بها الفاعل المتمدرس أضحت اليوم بمثابة صورة و مرآة عاكسة لثقافته أو لإكتسابه لمكانة مرموقة في الوسط الاجتماعي حتى أنها أصبحت تتخذ كنوع من الـ prestige .

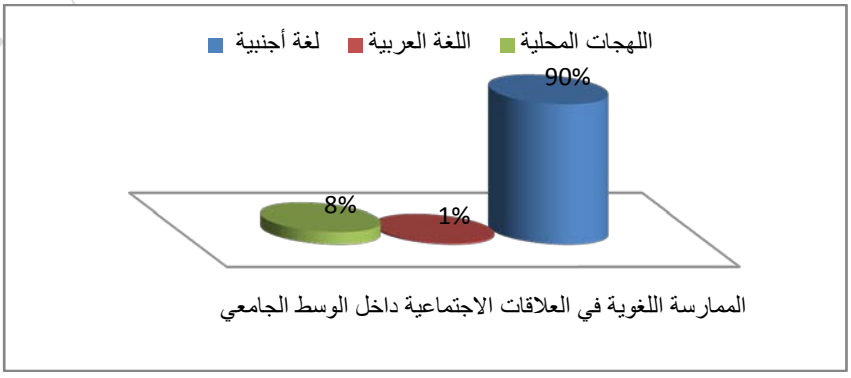

في هذا الوسط بالذات تبرز بصورة واضحة طغيان وهيمنة اللغة الأجنبية على مختلف الممارسات اللغوية للعلاقات الاجتماعية في الجامعة فهي بهذا تحتل مكانة متميزة إذ أن اللغة هنا

تعتبر"الموطن الذي يتبلور فيه الانتماء الاجتماعي إلى جماعة يقاسمها عددا من السلوكات اللغوية" (7) هذه السلوكات بموجبها تبرز هوية الفرد والجماعة،فمن المعروف أن اللغة تؤثر وتتأثر بالمجموعة البشرية فتعمل على قولبة وصقل الفاعل الذي يستخدمها وبالتالي تبرز هويته،كذلك أن اللغة في هذا المجال هي وحدة مشتركة بين الطلاب حيث أنها تظهر كرابط اجتماعي يتحقق من خلاله إندماج الفرد داخل جماعته .

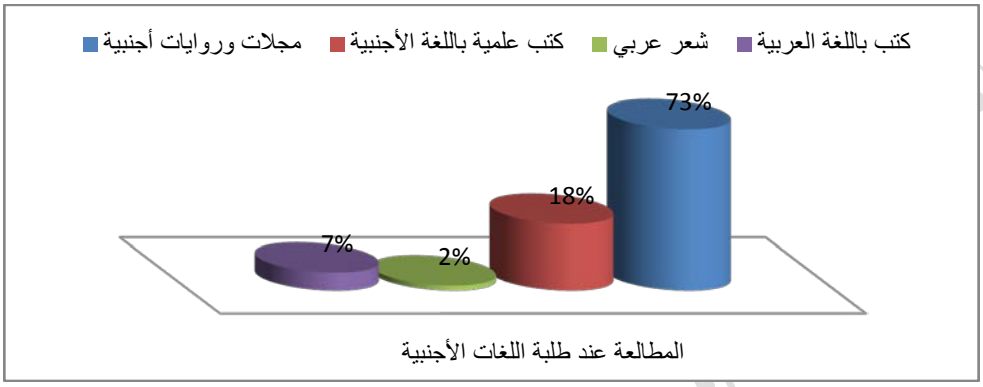

نرصد من خلال النتائج المتحصل عليها أن متغير المطالعة لدى طلبة اللغات الأجنبية (فرنسية وانجليزية) جاءت وفق ما يفرضه التخصص فنسبة المطالعة باللغات الأخرى سجلت حضورا لدى الفاعل سواء كتب علمية أو مجلات وروايات،هذا ما يدل على أن الطالب بطريقة تلقائية يجد نفسه ملتزما مرة أخرى باللغة التي يدرسها بالجامعة.

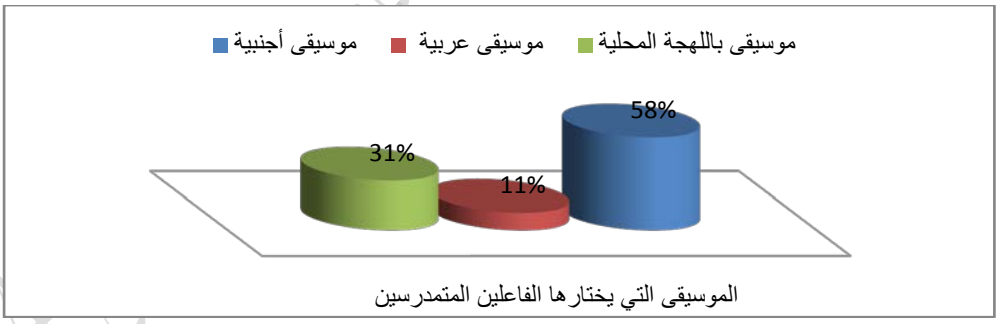

من خلال الرسم البياني نلاحظ أن الموسيقى التي يختارها الطالب الجامعي بقسم اللغات الأجنبية هي في غالبيتها موسيقى غير عربية بل موسيقى التي تفرضها عليه ظاهرة الحداثة والعولمة وهذا ما يظهر بصورة جلية من خلال سلوكاتهم وشكلهم الخارجي فهم بهذا يتأثرون بالنمط الغربي.

في ضوء عرض النتائج المتحصل عليها نستنتج أن هناك علاقة ارتباطية بين اللغة والهوية التي تظهر بشكل جلي في ممارسات الفاعلين المتمدرسين بقسم اللغات الأجنبية حيث عملت هذه الأخيرة على إبراز جملة من الهويات المتعددة بإعتبار أن اللغة وسيلة لنقل وتمرير ثقافات وايديولوجيات

هذا ما ساعد على تهميش اللغة العربية وتقليص دورها في عملية التفاعل الاجتماعي،فمن خلال الملاحظات التي ألممنا بها نرى أن سلوكات الطلبة تأتي وفقا لمعايير وقيم التي تطرحها اللغة الأجنبية.

9. مكانة اللغة العربية داخل المناهج الجامعية:

تمكنت اللغة العربية من استعادة مكانتها الأصلية في المجتمع الجزائري وهذا بعدما عاش تحت راية الايديدولوجية الكولونيالية (فرض لغة المستعمر) من خلال سياسة التعريب الذي انتهجه النظام الجزائري وطبقه في المنظومة التعليمية بمختلف مستوياتها فالتعريب في الجزائر اعتبره العديد من المثقفين والمفكرين مطلب ثقافي كان لا بد منه،والذي تم عبر مراحل عدة حيث كان يضفى على كل مرحلة طابع اللارجوع الذي عمل على إبراز اللغة العربية كلغة وطنية.وكأهم مستوى أو طور يهمنا في مقالنا هذا هو المكانة التي تحتلها اللغة العربية في مناهج التعليم العالي والبحث العلمي خاصة إن كنا نعلم أن قرارات التعريب قد شكلّت إحدى أبرز مبادئ الإصلاح (إصلاح التعليم العالي) منذ عام 1971 حيث "أن أحد أهم المبادئ المسجلة في إصلاح التعليم العالي يتمثل في ضرورة إتقان اللغة العربية من قبل الطلبة الذين حضروا شهاداتهم باللغة الأجنبية"(8) لكن رغم هذه المجهودات والسياسات إلا أنه لا نزال نصور اللغة الأجنبية على أنها لغة العصر ولغة العلوم والتميز وهذا انطلاقا من تمثلات الفاعلين المتمدرسين حول اللغة العربية،حيث يعتبر الحفاظ على وجوديتها وضمان استمراريتها من أكبر التحديات فقد وصفت بالكارثة إلى جانب مقاييس اللغات الأجنبية،ويرجع الباحثون هذه الظاهرة إلى وجود خلل في عناصر المنظومة التربوية (الكتاب،المنهج،المعلم).

كما يرجع العديد من الطلبة أن مقياس اللغة العربية لا يتوافق مع تخصصهم ولا يحقق أي نتائج بالنسبة لهم بل هو مقياس يعرقل تعلمهم واكتسابهم اللغوي بالرغم من تحصيلهم الجيد في مقياس اللغة العربية،كما نسجل من خلال ملاحظتنا المباشرة غياب الطلبة عن قاعة التدريس في مقياس اللغة العربية مما يدل على نفور وإقصاءها بالرغم من قلة حجمها الساعي.

10. نهاية الصراع اللغوي وحتمية الاصطدام الحداثي :

إن أزمة اللسان العربي في الجزائر تتطلب استعراض اتجاهين ساهم في بلورة إشكالية التعدد اللغوي في المجتمع الجزائري بل وأكثر من ذلك أدى إلى حدوث ما يعرف بالجهل اللغوي ,فالجزائر في ظل ازدواجية هذه الإيديولوجيتين المتناقضتين على حساب مشروع المجتمع والتي هدفهما الوحيد الوصول للسلطة قد اتخذا المدرسة كبناء ونسق لتحقيق أهدافهما وتمرير إيديولوجيتهما

(التعريب ,الفرنسة) فكان هذين التيارين بين سياسة العودة والتهميش إما المحافظة على اللغة العربية وإتخاذها لغة وطنية ولغة تعليمية وإما التهميش واستبدالها باللغة الفرنسية لغة الحداثة التي يتغنى بها المستعمر .

في ظل هذه المتناقضات التي عاشتها الجزائر ولفترة طويلة عبر إصلاحاتها التعليمية والتي خلفت أزمة لغوية ومجتمعية وذلك نظرا لما تحمله اللغة من جملة الإيديولوجيات والثقافات فالفرد الجزائري وجد نفسه يعيش صراع لغوي وفكري يحمل كل منهما إيديولوجية مناقضة للأخرى .

لكن بعد كل هذا الصراع الذي عاشته الجزائر إلى أن الفاعلين السياسيين الذي تبنوا مشروع المجتمع تغاضوا عن أي لغة تمثل الحداثة هل هي اللغة الفرنسية أم الإنجليزية لغة العولمة والتكنولوجيا والثورة العلمية .فالفرد الجزائري في ظل الحداثة المفروضة وما تحمله من قيم وممارسات وأفكار وجد نفسه أمام لغة ثالثة تحملها حداثة القرن 21م ,فحتمية الحداثة التي وجد الطالب الجزائري نفسه يعيشها جعلته يعيش أزمة لا غنى عن الأزمة التي عاشها فاليوم أصبحت اللغة الإنجليزية لغة ملازمة للتغير الاجتماعي الموجود في العالم وأصبحت لغة حتمية وهنا يجدر بنا إبراز الإشكالية التالية هل يستطيع الطالب الجزائري إدراك جملة المفارقات والمتناقضات الموجودة في المجتمع ؟

11. أزمة البحث عن الهوية لدى طلبة اللغات الأجنبية:

إن البحث عن الهوية لدى الكائن البشري لهي حركة مستمرة ودائمة بغية تحقيق التكيف والتوازن الاجتماعي لكن إذا ما رجعنا للفرد الجزائري بصفة عامة نتساءل هنا عن كيفية تحقيق ذلك في ظل التغير الذي يعرفه المجتمع الجزائري (الإنتقال من ثقافة تقليدية تتسم بالأصالة إلى ثقافة تطلعية حداثية) وفي ظل هذه الثنائية فإن الفرد الجزائري أقل ما يجد نفسه أمام أزمة هوية .فالمرجعيات المقدمة للفرد جعلته في حالة فقدان للتوازن أو ما يسمى بالأنوميا اللامعيارية هذا ما ساعد على عملية حدوث التثاقف وخصوصا في عصر عولمة الإتصال .

فالجزائر عرفت وضعية متناقضة ثقافيا وإيديولوجيا حيث حاول بعض التيارات تبني استراتيجية الإشتراكية كمنهج إقتصادي وإيديولوجية سياسية واتخذ الإسلام دين مصرح به للدولة الجزائرية ,وهذا ما أدى بالأستاذ مصطفى الأشرف للقول "أن الجزائري هو محل نشاط وحركة دائمة للذهاب والإياب تضعه في وضعية متعارضة ومتناقضة يستحال فيها العودة إلى الماضي من جهة ومن جهة أخرى وضعية يستحال فيها الوجود والتواجد في الوضع الراهن وضع تقدمي وتطور يسعى الجميع لتحقيقه " (9) .ولعل هذا التناقض الذي وجد الفرد الجزائري نفسه أدى ما يعرف بالازدواج الثقافي الذي أشار

إليه العديد من الباحثين أمثال بورديو وبرونو Bourdieu Perneau في تاريخ الجزائر والتي كانت سببا في حالة الأنوميا التي عرفتها الجزائر .

وإذا ما انتهينا إلى أن الثقافة جزء من ونسق شامل يعبر عن هوية الفرد والذي نتجت في نمط عيش مجتمع ما يتم كل هذا في إطار مؤسسات تنشئوية كالأسرة وجماعة الرفاق .....إلخ وهذا ما يشكل هوية ثقافية فمن خلال التواصل داخل هذه البنيات التي تجسد هويتنا الثقافية عن طريق اللغة سواء الشفوية أو المكتوبة بل تعدى ذلك إلى جملة المواقف والسلوكات التي رصدناها عن طريق تفاعلات التي أبرزت هويات متعددة حيث نجد طالب اللغات الأجنبية يؤدي بعض الممارسات لا على أساس الهوية الوراثية وإنما على أساس الهوية الاجتماعية المتطلعة وهو محاولة تسيير المفارقات والتناقضات حسب التحول الاجتماعي كما نسجل بعض الملاحظات عن سلوكات وأفعال طلبة اللغات الأجنبية وهو أن معظم الطلبة يلتحقون إلى اللغة الأجنبية والحديث بها لا على أنها لغة علمية وإنما للهروب من التخلف حيث يصرح أحدهم "بقوله "ما بقاش زمان اللغة العربية لغة المتخلفين فأصبحت اللغة الأجنبية ودراستها كوسيلة للهروب من نمط عيش معين "في حين تناسى هؤولاء الفاعلين أن السبب لا يعود إلى اللغة في حد ذاتها وإنما في طريقة التفكير . فالفاعلين في دراستهم انغمسوا وانصهروا في النواتج والمحصلات التي تحملها اللغة من ممارسات ثقافية .وفي نهاية المطاف نلخص أن مسألة عرض إشكالية الهوية المتطلعة لدى الفرد الجزائري مرتبطة ارتباطا وثيقا بتدريس اللغات الأجنبية وما نتج عنها من تغيير في الهوية الوراثية وهذا لما تعرفه هذه اللغات من تطور في جميع أطوار الحياة وتحول في العلاقات الاجتماعية والثقافية ,كما نستنتج من هذه الدراسة إلى ما يسمى بالهوية المفروضة حيث أن الطالب وجب عليه تغيير هويته حسب ما يتطلبه التغير الاجتماعي وخاصة الآن أصبحت اللغات الأجنبية مطلب حداثي وبالتالي التعامل معها بطريقة براغماتية حيث أصبحت لغة لإيجاد الوظائف .وهكذا فإن إنخراط طلبة اللغات الأجنبية ضمن مجموعة معينة بصفة إرادية لا يعني رفض نمط معين من النماذج الأخرى ولكنه قد يبرز صراعا رمزيا يمكنه الإنفجار في المستقبل وهذا يستدعي بنا الحديث عن هوية في طور التشكيل .

12. خاتمة:

نظر لأهمية اللغة العربية ودورها في حياتنا الاجتماعية وما تمثله من رمز الهوية وأحد الركائز التي تثبت وجودية المجتمعات العربية على الساحة الدولية وخاصة في ظل الهيمنة الأجنبية دعت الحاجة إلى وضع الإستراتيجيات والتكثيف في البحث عن الآليات التي تمكننا من الحفاظ على هذا

الرمز وخصوصا أننا في عصر يستدعي ويتطلب تعليم اللغات الأجنبية باعتبارها رمزا للحداثة إلا أن هذه الأخيرة أحدثت صراعا وعزوفا عن اللغة الأم وغذت المواقف النفسية والجوانب الانهزامية اتجاه مسألة اللغة العربية وسعت إلى إبراز جملة من الهويات التي انفرد بها الفرد الجزائري وأقل ما يمكن قوله هو أن تعليم اللغات الأجنبية في السياسات الإصلاحية التعليمية أحدث صراع لغوي وإيديولوجي نتج عنه وجود براديغمات لهويات متعددة .وذلك نظرا لحاملي مشروع المجتمع فلم ينظر للغة على أنها لغة علمية وفكرية بل وسيلة لتمرير غايات إيديولوجية معينة وهكذا بقيت إشكالية اللغة العربية في سياج دوغمائي لا يمكنها محاورة اللغات الحداثية والعلمية مما جعلها تبقى مهمشة وبالتالي هذا ما إنعكس على الناطقين بها .

قائمة المراجع:

سامي محمد نصار،قضايا تربوية في عصر العولمة وما بعد الحداثة، الدار المصرية اللبنانية،القاهرة 2005، ص 72.

1- Claude Dubar.La socialisation, construction des identités sociales et professionnelles.Armand Colin.Paris.1991.p 83.

القرآن الكريم،سورة البقرة، الآية 38.

علي بن محمد ، معركة المصير والهوية في المنظومة التعليمية:الصراع بين الأصالة والإنسلاخ في المدرسة،دار الأمة، الجزائر،2001،ص 96.

محمد عابد الجابري ، مسألة الهوية العروبة والإسلام، مركز الوحد العربية، بيروت،1995،ص 136.

حامد عمار، دراسات في التربية والثقافة:في آفاق التربية العربية من رياض الأطفال إلى الجامعة، مكتبة الدار العربية للكتاب، مصر،2003،ص 135.

خولة طالب الإبراهيمي،تر:محمد يحياتن، الجزائريون والمسألة اللغوية:عناصر من أجل مقاربة اجتماعية لغوية للمجتمع الجزائري، دار الحكمة، الجزائر2007،ص169.

خولة طالب الإبراهيمي،مرجع سابق، ص138.

2- Lachraf.M .Algérie nation et société.paris.1965.p 118.